# النعام في الحضارة المصرية

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

النعامة أعظم الطيور واضخمها يبلغ علوها نحو مترين ووزنها أربعين كيلوغراماً احياناً . سمعها دقيق ونظرها حاد وحاسة الذوق والشم فيها غليظة بحيث لا تتخير غذاءها وقلما تميز بين جيده ورديئه . فهي وان تكن من الحيوانات آكلة العشب تخضم أغذية باتية وتحتك بكل ما يقع نظرها عليه من حديد وقرمد وخشب وتصدمه حتى يكاد يتناثر . ساقاها مستويتان مستطيلتان متينتان حتى انها لتقطع نحو ٢٨٠ كيلومتراً في أقل من عشر ساعات فتبذُّ بذلك الصافنات الجياد في حلبة الطراد . وريش جسم ذكر النعام اسود فاحم وريش الاجنحة والذنب أبيض وعنقها أجرد لا ريش له وهو أحمر كساقيها وعينها زرقاء ومنقارها أصفر ورجلاها سنجابيتان وهي كالجمل تنزل المناطق الحارة المنعزلة عن الناس

عرف القدماء النعام وورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة وسماها اليهود « ابنة الصياح » وكثيراً ما تزعق في المطارح النائية الواسعة في ظلمات الليل وتنخر نخيراً ممزوجاً بعويل محزن يرمض القلوب ويجلب الكروب . وهي من البلاهة بحيث لا يضاهيها حيوان حرمها الخالق تعالى من الحكمة ولم يجعل لها حظاً من الذكاء كما ورد في التوراة . ويذكر بلين ان الصيادين يضطرونها الى ان تقبع رأسها وتخفيه ظناً منها بأن لا يراها أحد ومتى طاردها المطاردون تستخدم رجليها بمثابة مقلاع وترمي بهما أحجاراً بغلظ الكف

هذا الطائر مشهور منذ القرون العريقة في القدم ويبيض في الرمل ولا تحضن اناثه بيضها الا من الليل لان حرّ النهار ينتفها . وانك لتراها أرسالاً وعصائب على مقربة من الواحات في رمال افريقية وبلاد العرب وتُرى في الصحراء من جبال الاطلس الى ضفاف النيل وفي رمال صحراء ليبية ومصر الوسطى وفي القفر الواقع في الجنوب

الغربي من الاسكندرية

رأينا النعامة مرسومة فى مصانع الفراعنة والحبشان آخذين بزمامها وقد لزّت في قَرَن مع الاسود والفهود وغيرها من حيوانات تلك الارجاء . ويروي عنها في اساطير الاولين روايات من مثل اختيارها دون سائر الحيوانات لانقاذ اله الخمر لما ذهب هذا الى الهند على رأس جيشه الجرار مجتازاً صحاري ليبية حتى اذا اشتد به الظمأ استغاث بالمشتري فدله على نعامة فتبعها حتى قادته الى مكان حفرت فيه الارض بمنقارها فنبضت منها عين

ولطالما كان الصيادون يطاردون النعام مطاردة شديدة وكثيراً ما كانوا يلبسون جلودها ويقلدونها في حركاتها فيقتربون منها ويباغتونها . يستعملون لحمها غذاء لهم ويستخدمون جلدها تروساً أو ثياباً أو مضاجع وفرشاً . واذا تمكنت النعامة من صيادها نفشت فيه سماً قتالاً وعضته عضة يقاسي منها انواع الالم فلا تكون عاقبتها عليه سوى الموت. اما بيض ( بيض ) النعامة فكان الصيادون يأكلون ما في داخلها فاذا أتوا عليه يستعملون القشرة اقداحاً واكواباً واذا رأوها ضخمة يقسمونها شطرين يكونان قُبَّعتين لرجلين يستران بهما رأسيهما

وما زال بعض السكان في افريقية الى يومنا هذا يقتاتون من لحم النعامة وشحمها وبيضها ويبيعون ريشها أو يستخدمونهُ زينة لرؤوسهم . ويستخدم النعام لحمل الاثقال. وشاعت عادة ركوب النعام في القديم كل الشيوع . ويؤخذ مما قاله بوزانياس القائد الاسبارطي المشهور ( ٤٧٧ ق . م ) انه رؤي على جبل هيليكون من بلاد اليونان تمثال لارسينوي الأميرة المصرية التي تزوجت بطليموس محمولاً على نعامة من النحاس . ويقول اتينيه الكاتب اليوناني الذي جاء في القرن الثالث للمسيح انهُ كان في الاحتفال بظفر فيلادلف الذي قام في الاسكندرية ثمانية قطارات من النعام في كل قطار نعامتان وقد رُسمت صورة جماعة يتعاطون الشراب مرسومة على كوب وفيها ست نعامات يركب

متونها فتيان ويسير امامهم رجل مستور الوجه ووراءهم موسيقار يمشي الهوينا ضارباً بمزماره

ومما يقصونهُ من الاخبار عن فيرموس ما ركوس الجبار المصري انهُ كان يركب نعاماً ضخمة ويستوي على ظهورها فتنساب به انسياباً سريعاً حتى كنت تخاله يطير وكان أكولاً يُطعَم كل يوم نعامة . وذُكر ان هليوكابال الامبراطور الروماني وضع على مائدته ستمائة مخ نعامة. وكان موسى على العكس يكره لحم النعام وحظر على بني اسرائيل استعماله . واستعمل النعام في نينوى صوراً لطيفة في الثياب المطرزة والمشالح الاشورية . وفي بعض النقود الرومية صور مقلوبة تمثل نعامة تسير الى الشمال والكلب يهمُّ بها . وفي صور قدماء المصريين أشياء كثيرة تدل على استخدامهم النعام في كثير من المهامّ

ورد في كتب التاريخ أقاصيص عن حسن تخلص النعام في الحروب مما يرجع الفضل فيه لشكلها لانها تشبه الطائر وتشبه ذوات الاربع ولها من كل فصيلة من هذه الفصائل أحسن ما فيها . وكان لريشها أثر وأي أثر في أساطير وادي النيل لم يصل اليه الجهلان ولذلك نرى من جملة الجزى التي كان الفراعنة يضربونها على سكان الحبشة جزية وافرة من الريش وبيض النعام زيادة على ما كانوا يفرضونه عليهم من خرائط التبر

يقول هورابولون ان المصريين كانوا يمثلون للرجل العادل بريش النعام بدعوى ان هذا الطائر هو الوحيد من بين الطيور في تساوي ريشه . ولذلك أمثلة كثيرة في تاريخهم القديم . وترى في الخط الهيروغليفي ان ريش النعام اشارة الى صوتين مختلفين (ما وسو) فيستخدم الاول لكتابة الحقيقة. ويفهم من مغزى الفلسفة المصرية ان معنى (ما) العدل فمن ثم كانت ريشة النعامة رمزاً الى ربة الحقيقة والعدل

ترى هذه الريشة التي تمثل الحقيقة والعدل ماثلة احياناً وقد جعلت رأساً لجسد امرأة وكثيراً ما تظهر في صورة رشيقة متجلببة برداء ضيق وقد جعلت في ذراعيها وكاحليها أساور وفي احدى يديها اشارة الحياة وفي الثانية صولجاناً تريد بذلك الحقيقة والعدل . وكثيراً ما كنت ترى أمثال هذه الصور ماثلة بعضها امام بعض وقد

تزينت بحلاها و برزت بجمالها وجلالها

مُثلت ( ما ) ايضاً وعلى رأسها ريشة النعام وهي جاثمة وعيونها معصبة . وعلى هذا النحو كان الملوك يقدمون للارباب في مدافن الفراعنة صوراً من امثال هذه دليلاً على الطاعة وأداء الواجب . وكان رئيس المحكمة المصرية يحمل صورة صغيرة تشبه هذه الصورة مصنوعة من الاحجار الكريمة مناطة بسلسلة من ذهب واذا تقلدها الرئيس يكون ذلك رمزاً الى ان المرافعات ابتدأت . وكان المصريون يعتقدون ان ( ما ) هي صاحبة أوزيريس في الحياة الاخرى وانها تقف في مدخل الجنة تتلقى أرواح الابرار الاطهار وتبعث فيهم روح الطُمأنينة وحسن الثقة بالارباب

وكذلك الحال في ( سو ) فانه كان رمزاً على رب الارباب ورمزاً على النور المنبعث من الشمس . و ( سو ) يمثل النسيم العليل الذي ينازع زعازع القفر وقواصف البادية . ولذلك ترى في قباب المعابد القديمة عقباناً تحرك ريش النعام لتدفع به التأثيرات السيئة

وترى كثيراً من ريش النعام معلقاً في رؤوس الارباب . والريشتان المزدوجتان خاصتان بعمون را وأوزيريس ونوفري توم رب الافراح . وكان ملوك الفراعنة يرفعون ريش النعام للقيام ببعض الفروع الدينية ويزدان اوزيريس في محكمته بريش النعام ايضاً

وريش النعام مقام مأثور في العادات المصرية الدينية عند القدماء فقد كان يجعل منهُ مذابٌ ومراوح وكانت علامة مميزة للامراء من أهل بيت الملك ومن أعاظم الحكام فيستعمل مراوح وسجفاً يحيط بمظلة الملك وزينة تناط برأس خيوله وتخفق عليه كما رأيناها تناط بعصابة الرأس وتندمج مع الشعر المستعار أزرقاً كان أو أسود . وكان المصريون يجعلونه عنواناً على زعمائهم وهو لهم زينة نادرة الظرف واللطف . ولذلك ترى ريش النعام ماثلاً في المعابد والمدافن وتشاهده في مدينة عبو كما تشاهده في مدينة ثيبة

كان كبار القوم يعلقون ريشتين على شعورهم اشارة الى الزينة والابهة من اجل هذا ترى الريش حيثما اتجهت في ارض الفراعنة يُتخذ زينة فهو يرفرف على الرؤوس ويتقلقل في أيدي أمراء الملك وآل بيت الفراعنة كما تراه على سدنة بيوت الارباب والكهنة والضاربين بالمزمار والطنبور يستجيدون ألطفها ويتزينون به كما كانت ترفع على اطار الثور الابيض الذهبي وغيره في الحفلات الدينية فيجيء النسيم يحركها

نعم كنت ترى الريش في كل مكان وبعضه ملون أخضر كالزمرذ وبعضه ابيض ناصع وبعضه أسود فاحم وآخر أحمر قانٍ . ومثل ذلك قلْ في بيض النعام ايضاً فمنها ما كان يُلوّن بالزُّرقة أو يبقى على طبيعته وكان يُعَدُّ في المقابر من توابع الزينة ومنه ما يجعل أكاليل أو سبحاً طويلة وكثيراً ما كنت تراها تضم الى العمد اللطيفة كأنها تاج للظلات على نحو ما ترى لعهدنا في المدارس القبطية يستخدم لمثل هذه الغاية من الزينة واللطافة في كل ناحية بريم حرير غليظ تعلق به مصابيح قرمزية أو غيرها من الاضواء توقد ليل نهار امام المذبح

## الشعر العربي

جزعت السهول وجبت الوعوثا ... وسرت الى المجد سيراً حثيثا
عجلت وعندي لادراكه ... صريمة نفس أبت أن تريثا
متى أنا أطلقت من غربه ... يعدْ ذكرُ المرهفات أنيثا
دعاني الهوى والهوى ضلة ... فكنت لدعوته مستريثا
واعرضت عن لفتات الدمى ... وعفت خلاخيلها والرعوثا
اليكنَّ عني ذوات اللمى ... لقد عاد حبي بكنَّ رثيثا
كتمت عن الناس اخباركن ... ثم نثت الكتيم نثيثا